

لعنة الأثير



تأليف: مبادرة فراشة أكتوبر



تأليف: مجموعة من المؤلفين

تدقيق: فاطمة صديق، سدرة المفلس

تصميم: عبير عديلة

بإشراف: فاطمة فتوح

جميع الحقوق محفوظة © [مبادرة

فراشة أكتوبر]، [سنة النشر 2026]

لا يُسمح بإعادة طبع هذه الرواية أو

تصويرها أو تخزينها أو ترجمتها أو

نقلها بأي شكل من الأشكال (رقمياً أو

ورقياً) دون إذن خطي مسبق من

المؤلفين



المقدمة

"في عالم مَيَّار المُظلم والمحاطِ بالأسوار، كان إلياسُ هو الثَّغرة الوحيدةُ الَّتِي عبرتُ منها الحياةُ إلى جسدها."

عشرون عامًا ومَيَّار تعيشُ في عالمٍ لا يشبهُ عالم البشرِ الَّذِي من حولها، وكأنَّها كائنٌ منسيٌّ في زمنِ الصِّداقاتِ والعلاقاتِ، فكلُّ شخصٍ يحاولُ الاقتراب منها يمرضُ أو يفقدُ وعيه تمامًا، في يومٍ ما طرَّ كانت تمضي مَيَّار بخطواتها الثَّقيلة في الخارج ولم تشعر إلا أنَّها أصبحت بين يديَّ شابٍّ غريبٍ الأطوار في هذا الزَّمن، ملابسه قديمةٌ، ودماؤه تسيلُ منه كأنَّه بريق الأثيري، نظرتُ في عينيه بخوفٍ أن يصيبه مكروه لكن عينيه كانتا تحكي قصصًا ومعاركٍ كبيرة، ابتعدتُ عنه بهدوءٍ وقالت:

"ثلاثة اثنان واحد"، لكنَّ المفاجأة أنَّه لم يُصب بأيِّ شيء، كان ينظر لها بشموخٍ بينما قالت: _ من أنتَ يا هذا؟ مدَّ يده قائلاً: _ إلياس..



تسمّرت ميار في مكانها، وحدّقت في يده الممدودة كأنّها تنظر إلى فحّ
لا تعرف كيف نُصب أمامها. لم تمدّ يدها
وقالت في جزع: - لا تلمسني!

بقيت يده معلّقة في الهواء للحظات، ثمّ أنزلها ببطء، وقد ارتسم
على وجهه شيء يشبه الاستغراب والتعجب
فأردف تلقائية: - ولماذا؟! ضحكك ضحكة قصيرة متوتّرة
وردّت: - لأنّك لا تعرف ماذا تفعل بي يداي. انعقد حاجباه، وكأنّ
ملامح وجهه سألت قبل أن ينطق: ماذا تقصدين؟ نظرت إلى
أصابعها المغطّاة بالقفّازات،

ثمّ رفعت عينيها إليه: - كلّ من لمسني من قبل... مرض.
صمت إلياس ولم ينطق بأيّ كلمة فأكملت: - بعضهم فقد وعيه،
والبعض الآخر لم يستطع الوقوف لأيّام. ابتسم إلياس ابتسامة
خافتة

وقال: - وأنا ما زلت واقفاً! نظرت إليه بدهشة فقد كان محقّقاً مرّت
ثوانٍ، ثمّ دقيقة، ثمّ أخرى... لا شيء... لا دوار، لا سقوط، ولا
خوف! لأوّل مرّة في حياتها، كانت ميار تقف أمام إنسانٍ لم تؤذّه.
اقترب إلياس خطوة؛ فتراجعت هي خطوة.

أأنت خائفة منّي؟ لا.

إذن أنت خائفة من نفسك لم تحبه، كانت تلك الجملة أثقل من أن
تُنكر. وفجأة، انتبهت إلى الدّماء التي كانت تسيل من ذراعه،
فهمست بخفوت: أنت مصاب! نظر إلى الجرح وكأنّه لم يكن يعنى



لكن شيئاً غريباً حدث أمام عينيها مباشرةً بدأ الجرح
بالتلاشي، توقفت الدماء ثم انغلق الجرح شيئاً فشيئاً، وكأنَّ
يداً خفيةً تُعيد جسده إلى ما كان عليه.

تراجعت ميار مذهولةً، وهي تردّد: ماذا فعلت؟ وكيف
فعلت هذا؟ نظر إلياس إلى ذراعه، ثم إليها،
وقال: أنا... هزت رأسها،

وقالت مصدومةً: الجرح... اختفى!! ظلَّ إلياس صامتاً، ثم
تغيّرت ملامحه، اقترب منها ببطء، لكن هذه المرة لم يكن
في عينيه ذلك الغموض الهادئ. كان هنالك شيء آخر، شيء
يشبه الصدمة. أعيدي ما فعلت.

أنا لم أفعل شيئاً لمستني توّرت
وقالت بقلق: حدث هذا بالخطأ. افعلي هذا مرةً أخرى
تراجعت

وقالت: لا!! لماذا؟ لأتني لا أريد أن أؤذيك.
حدّق فيها طويلاً،

ثم قال بصوتٍ منخفض: أنت لا تؤذييني صمت لحظةً،
ثم تابع: أنت تمنحني شيئاً ارتجف قلبها،
وقالت: ماذا؟ نصب عينيه أمام عينيها،

وقال: الأثير لم تفهم الكلمة،

فقال: ما هو الأثير؟ قبل أن يجيب، انطفأت أضواء
الشارع دفعةً واحدةً. ساد الظلام، ثم دوى صوت في السماء،
رفعت ميار رأسها بين الغيوم، ظهر ضوء أزرق شاحب، أخذ
يتسع ببطء، كأنَّ السماء نفسها بدأت تتشقّق.



تغيّر وجه إلياس... لأوّل مرّة، بدا عليه الخوف! سألت ميّار بقلق: _ ماذا يحدث؟ لم يجب. _ إلياس؟ أمسك سيفه، ونظر إلى السّماء كأنّه يعرف تمامًا ما الذي ينتظره هناك، قال بصوتٍ حذر: _ لقد وجدوني. _ من؟ التفت إليها،

وقال: _ لا تسألِي. _ أنتَ ظهرتَ أمامي من العدم، و كنت تنزف دمًا يُضيء، وتقول أنني أمنحك شيئًا اسمه الأثير، والآن السّماء تتشقق فوقنا... ثمّ تخبرني ألاّ أسأل؟! نظرَ إليها للحظات، ثمّ _ وللمرّة الأولى _ ابتسم وقال: _ يبدو أنكِ لستِ هادئة كما ظننت... اسمعيني جيّدًا. اقترب منها، وقال بصوتٍ خافت: _ مهما رأيتِ اللّيلة أو سمعتِ، لا تقتربي من البوابة. _ أيّة بوابة؟! رفع رأسه، كان الضّوء في السّماء قد اتّسع حتّى ظهرت خلفه ملامحُ عالمٍ آخر؛ أبراجٌ سوداء، سماءٌ حمراء، وشيءٌ يشبه مدينةً كاملةً معلّقةً في الفراغ. شهقت ميّار،

فقال إلياس مستدرّكًا: _ هذه... توقّف،

ثم قال: _ ليست سماءك. وفي اللّحظة التي ظهرت فيها البوابة كاملةً، خرج منها صوتٌ بعيد، عميق، وكأنّه قادمٌ من عالمٍ لا يعرف الرّحمة. ثمّ نطق الصّوت باسمٍ واحدٍ: «إلياس». تجمّد في مكانه. أمّا ميّار، فشعرت بشيءٍ غريب داخل صدرها... حرارة، ثمّ ألمٌ، فضوء! نظرت إلى يديها، فوجدت خطرًا زرقاءً دقيقةً تمتدُّ تحت جلدها كأنّ شيئًا استيقظ في داخلها بعد عشرين عامًا من الصّمت. نظرَ إلياس إليها ولم يقل شيئًا، لأنّه أدرك الحقيقة في تلك اللّحظة. اللّعة لم تستيقظ؛ بل الأثير هو الذي استيقظ هذه المرّة! ومن خلف البوابة، بدأت خطواتٌ تقترب.



بدأ إلياس يتراجع للوراء هو وميَّار كي يراقبوا ذلك البثق
الذي انشقَّ في السَّماء، صار جسدُ ميَّار يثورُ كأنَّه نارٌ،
والخطرُ يقتربُ من إلياس.

هبطَ أمامهم طائرٌ يحيطُ به السَّواد من كلِّ جوانبه، كأنَّه
قلعةٌ هبطت، ومن حوله طيورٌ صغيرةٌ وكأنَّهم حرَّاسه.
بدأ بالهبوطِ والتَّحوُّلِ معًا، عندما وصل للأرض كان شابًّا
طويلَ القامة، نحيلُ الوجه، وفي يديه سيفٌ مليءٌ بالدماء.
ومن حوله جنودُه، خطواتُه تقتربُ من إلياس وميَّار،
وهو يقول مُبتسمًا: أهلاً بالأمير الهارب.

قال إلياس بشيءٍ من الرَّيبة: وجدَّتني يا أنمار، ولكن هل
تريدُ قتلي؟

قهقهه أنمار بصوتٍ شبيهٍ بالأفعى: وهل تريدُني أن أعود قبل
أن أنهي لك حياتك؟ ألتعودَ لمملكتك أيُّها الأمير؟ أنت لا
تستطيعُ التَّغلبَ عليّ، وقد أثبتُ لك ذلك قبلاً بتلك المعارك
النَّاريةَ أمام شعبي.



ـ وهل نسيت أنك الآن وحدك؟ وقد خرجت من عالمك
الذي يمنحك القوة؟ تتلاشى ملامح الثقة من وجه إلياس،
ليدرك حجم الكارثة التي وقع فيها، نظر حوله فرأى جنود
أنمار في حالة التأهب للهجوم، ليلتفت إلى ميار
ويقول بلهجة حازمة: لا تفتلي يدي مهما حصل!
ثم سألها بسرعة: هل تُجيد القتال بالسيف؟
لماذا؟

لأنك وعندما تتشابك يدك بيدي تمدني بالقوة، وهذا
سبب كافٍ لأحافظ على حياتي كأمر خارج مملكته.
لكنني أريدك أن تعيش، لا تنس أن من ألمسه يختفي،
يتبخّر، أو يموت. نظر إلياس إلى أنمار وبضحكة جانبية
قال: ـ أتريد القتال يا أنمار؟ اتسعت ابتسامة أنمار الخبيثة
وقال: ـ وبشدة! ليقرب بجيشه...



ارتجفَ الهواء حولهما، ولاحظت ميار أنَّ تلك الخطوط
الزرقاء التي تحت جلدها بدأت تتوهجُ بشكلٍ أكثر
سطوعًا، كأنَّ عروقها تحوَّلت إلى أنهارٍ من الضوء
النَّاصع! لم تُعد تشعرُ بالخوف العاديِّ، بل بشيءٍ أشبه
بطاقةٍ هائلةٍ ومشتعلةٍ تبحثُ عن منفذٍ للتحرُّر من
سجنِ جسدها. التفت إلياس إليها سريعًا، وقد قرأ في
عينها وفي توهجها الحقيقة الكاملة "الأثيرُ لم يعد
نائمًا، بل استيقظَ بالكامل ليحرق كلَّ من يقفُ في
طريقه.

"ثمَّ أعادَ إلياس بصره إلى أنمار الذي تقدَّم ببطء،
خطواته تزنُّ الأرض بوقعٍ ثَقِيلٍ ومخيفٍ، وسيفه يقطُر
دمًا لم يخفِ بريقه اللَّعين في عتمة الشَّارع المُحترق.
ابتسمَ أنمار ببرود، وصوته يخرج حادًّا كالسَّفرة:
أعتقدُ حقًّا يا صاحبي القديم أنَّ الاختباء بين هؤلاء
البشر الذين لا يُدركون حتَّى معنى ما يحيط بهم
سينقذك من مصيرك؟!"



ضيق إلياس عينيه، وشدَّ القبضة على سيفه أكثر،
بينما كانت الدماء التي سالت منذ قليل على ذراعه
قد اختفت تمامًا تاركة مكانها أثرًا خفيفًا من
الوهج الخافت.

قال إلياس بصوتٍ هاديٍّ يحمل تحدّيًا باردًا:
لم أكن أختبئ يا أنمار كنت فقط أرثب لحفلة
استقبالك.

اتسعت ابتسامة أنمار، وعلت قهقهته الساخرة
مجددًا لتردد صدى بين الأبراج المعلقة في السماء،
ثم لوح بسيفه الملطخ بالدماء، وأشار برأسه نحو
الجنود والطُيور السوداء التي بدأت تُطوقهما من كلِّ
اتجاه

وقال بتوعد: إذن دعنا نرى إن كان هذا الأميرُ
الهارب، وتلك الفتاة التي يستيقظ الأثير في دمائها،
سيصمدان أمام جيش القلعة السوداء!



التفتت ميار إلى إلياس

وسألته: ماذا يقصد؟ لم يجب إلياس، بل بقي صامتًا وهنا بدأت
البوابة تهتز.. وخرج منها صوت امرأة: «ميار...» تجمّدت في
مكانها.. يكادُ صوتُها يختفي من الخوف والصدمة.
ظهرت يدٌ من الظلام، وعلى معصمها الخطوط الزرقاء نفسها.
خرجت المرأة ببطء، وقد كانت تشبه ميار بشكلٍ مخيف.
شهقت ميار: أمّي؟ نظرت المرأة إليها، ثم إلى إلياس، لكنّها لم
تقترب من ابنتها.

قالت بصوتٍ مرتجف: لم أكن أبحثُ عنكِ يا ميار... كنتُ
أهرب منكِ تجمّد إلياس، أنمار خفض سيفه، أمّا ميار... فلم
تفهم شيئًا،

فسألت: ماذا يعني هذا؟ رفعت المرأة عينها إليها.
الأثير الذي في داخلِك ليس قوَّتِك. ثم أشارت إلى إلياس، إنّه
قوّته هو، ساد الصمت، ونظرت ميار إلى إلياس.
_ ماذا تقول هذه المرأة؟ ابتعد إلياس عنها خطوة، لكنّ
الخطوط الزرقاء تحت جلدها اشتعلت بقوة.

قالت المرأة: قبل عشرين عامًا، لم يهرب إلياس من مملكته
لينجو... ثم نظرت إلى أنمار وتابعت:

لقد هرب ومعه قلبُ الأثير شهقت ميار. وفهمت فجأة لماذا لم
تؤذ إلياس، ولماذا كانت قوّته تعود كلّما لمستّه، أو لم لم يمُت أو
يمرض مثل الآخرين، لم تكن هي من تمنحه الأثير، بل كان
الأثير يعودُ إلى صاحبه الأصلي!



نظرت إلى إلياس، والدُّموع تملأُ عينيها،

— أنت... لم يستطع النَّظر إليها، فهمس:

— كنتُ سأخبرك

. ضحك أنمار ضحكةً خافتةً

وقال: لا.

ثمَّ نظر إلى مَيَّار مستدرِّكًا:

— الحقيقة أسوأ من ذلك، اقترب خطوةً.

— أنتِ لم تكوني حاملةً للأثير يا مَيَّار.

صمت قليلًا ثمَّ قال:

— أنتِ الوعاءُ الذي وضعَ فيه إلياس قلبه قبل عشرين عامًا.

اتَّسعت عيناها، وانطفأ كُلُّ شيءٍ حولها، ثمَّ همست:

— إذن... لماذا لا أتذكر شيئًا من هذا؟ نظرَ إلياس إليها طويلاً

وقال: لأنني لم أسرق الأثير منك... توقّف ثمَّ تابع:

— أنا سرقتكِ من الموت، وفي اللَّحظة نفسها، دوى صوت من داخل البوابة:

— كاذب! ارتجّت الأرض، وتحوّل وجه إلياس إلى خوفٍ



تجمّدت مَيَّار في مكانها، وظلّ صوتها يتردّد من داخل البوّابة كأنه صدىّ قادم من أعماق روحها،

قالت وهي تنظر إلى إلياس:

ـ كيف يكون صوتي هناك؟ لم يجب، لكنّ الخوف الذي ظهر في عينيه كان جوابًا كافيًا، اقتربت منه خطوة،

وقالت: أنت تعرف شيئًا، أليس كذلك؟ خفض إلياس سيفه، وقال بصوتٍ خافت:

ـ أعرف أكثر ممّا ينبغي.

ـ إذن أخبرني.. قبل أن يجيب، خرجت من البوّابة موجّةً من الهواء الأسود، فتراجعت مَيَّار وهي تضع يدها على صدرها، وفجأة... لمع الأثير تحت جلدها، وانفتحت أمام عينيها صورةٌ خاطفةٌ لقصرٍ يحترق، رأت امرأةً تحمل طفلةً صغيرة، وإلياس يقف أمامهما، في يده شيءٌ ينبض بالضوء الأزرق، ثمّ سمعت صوتًا يقول:

ـ خذها وارحل... قبل أن يصلوا إليها اختفت الرؤية، وسقطت مَيَّار على ركبتيها. أمسك إلياس بذراعها بسرعة بينما رفعت عينيها إليه، والدموع تملأهما

همست: كنتَ هناك... أليس كذلك؟ صمت،

فتابعت: كنتَ تعرفني قبل عشرين عامًا؟ أجاب أخيرًا:

ـ نعم. شهقت، ثمّ قالت:

ـ فلماذا لم تخبرني إذن؟ نظر إليها بحزن، وقال:

ـ لأنني كنتُ أخشى أن تتذكّري... قبل أن تكوني مستعدة! وفجأة خرج صوت أنمار من خلفهما مُقاطِعًا:

ـ كان يخشى ذاكرتك يا مَيَّار... ثمّ رفع سيفه نحو إلياس وأكمل:

ـ كان يخشى أن تتذكّري الحقيقة!



رفعت ميار عينيهما نحو أنمار، لكنّها لم تعد تلك الفتاة التي كانت ترتجف من مجرد لمس الآخرين، كان الخوف ما يزال في داخلها، لكنّ شيئاً آخر وُلد معه، شيئاً يشبه الغضب.
قالت بصوتٍ ثابت:

_ وأنت... ماذا تعرف عني؟

أنزل أنمار سيفه قليلاً، وقال:

_ أعرفُ أنّك لم تكوني ضحيّةً يا ميار.

تدخل إلياس بسرعة:

_ أنمار، لا تكمل!

ابتسم أنمار ابتسامةً ساخرة:

_ لماذا؟ أخبرها أنت إذن... أخبرها ماذا حدث في تلك الليلة.

نظرت ميار إلى إلياس، ثم إلى أمّها الواقفة قرب البوابة.

_ أيّة ليلة؟

ساد الصمت... وفجأةً اهتزّ هاتف ميار في جيب معطفها. أخرجته بيدٍ مرتجفة، فظهرت على

شاشته رسالةً من رقم مجهول:

"لا تثقي بإلياس"

تجمّدت عيناها. ثم وصلت رسالةً ثانية:

"ولا بأنمار"

رفعت رأسها ببطء، وفي اللحظة نفسها انطفأت الخطوط الزرقاء تحت جلدها.

قال إلياس بقلق:

_ ميار... لا تنظري إلى البوابة.

لكنّها نظرت. كانت أمّها قد اختفت! أمّا البوابة، فلم تعد تُظهر عالماً آخر... بل أظهرت

غرفةً عاديّةً تمامًا. غرفةً صغيرةً، جدرانها بيضاء، وبجانب النافذة سريرٌ لطفلة.



وعلى السرير كانت فتاة صغيرة تشبه ميار.
اقتربت ميار خطوة دون أن تشعر. ثم سمعت صوت الطفلة من

داخل البوابة:

_ إلياس ألم تعدني أنك لن تتركني مرةً أخرى؟

تغير وجه إلياس.

فهمست ميار:

_ أنا... قلتُ هذا؟

لم يجب. وفجأة التفتت الطفلة داخل الغرفة نحو البوابة،

وكأنها تراها، ثم ابتسمت وقالت بصوت واضح:

_ أخيراً تذكّرت.

تراجع إلياس خطوة، ورفع سيفه. أمّا أنمار، فقد قال للمرّة

الأولى دون ابتسامة:

_ لقد بدأ الوقت ينفد.

نظرت ميار إلى الاثنين، ثم إلى الطفلة خلف البوابة، ومدّت

يدها نحوها. لكن قبل أن تلمسها، انغلقت البوابة بعنف.

وسقط من داخلها شيءٌ صغيرٌ عند قدميّ ميار، انحنّت

والتقطته. كان قلادةً قديمةً تحمل نقشاً لم تره من قبل.

إلا أنّ إلياس ما إن رآها حتّى شحب وجهه وقال:

_ هذه القلادة... كان يجب أن تُدفن معك!

نظرت ميار إليه، ثمّ ابتسمت ابتسامة خافتة.

_ يبدو أنّ أحدنا... كان يكذب منذ عشرين عاماً.



لم يرتدّ إلياس خطوةً واحدة، بل جمدت حركته
 في الفراغ كأنّه أُحيل إلى حجر، السّيف في يده
 لم يعد يرمز إلى الحماية، بل إلى خوفٍ قديم تحرّك
 من مرقدّه ليشهد بعثه من جديد. استدارت
 القلادة بين أنامل ميار، كانت باردةً ببرودة الموتى،
 لكنّ نقشها

- وهو شكلُ زهرةٍ خماسيّةٍ تلتفّ حولها أفعى
 بلا عيين

- بدأ يتوهّج بضوءٍ خافتٍ ينبض كقلبٍ يصحو
 من غيبوبة.

- أنمار... همس إلياس بصوتٍ خنقته الغصّة
 - أخرجها من هنا... الآن!

لكنّ أنمار لم يتحرّك، خطى خطوةً ببطءٍ نحو
 ميار، ونظر إلى القلادة بعينين خلتا تمامًا من
 السّخريّة التي ارتدى بها وجهه طوال اللّيلة.



- إنَّها لن تذهب يا إلياس، لقد فتحت الذاكرة
 بابها، ولا أحد يستطيع إغلاق الذاكرة بعد أن
 تشم رائحة الحقيقة.
 اتَّسعت عينا ميار وهي تشعر بحرارة تنبعث فجأة
 من المعدن البارد لتسري في معصمها، خُيِّلَ إليها
 أنَّها تسمع صوتًا هامسًا يبكي عند أذنها، صوتُ
 تلك الطفلة التي كانت تضحك خلف البوابة قبل
 لحظات، صوتٌ يعرف تمامًا كيف يوقظ الألم
 الخبيث.

- أخبرني.. ماذا كنت تقصد بقولك أنَّها كانت
 يجب أن تُدفن معي؟

سألت ميار، وصوتها يزداد هدوءًا قاتلاً، يخلو من
 أي أثرٍ لرجفة الخوف التي كانت تتملّكها
 - هل أنا حيّة يا إلياس؟ أم أنَّك تبني لي حلمًا كي
 أظلَّ أسيرةً في خطيئتك؟



اهتزَّ الهاتف في جيبها مجددًا، لم تخرجه... بل
أحسَّت باهتزازه يطرق ضلعها كتحذيرٍ أخير،
تقدَّم إلياس نحوها، وصوته يخالطه انكسارٌ لم
تعده فيه من قبل:

_ ميار... ما حدث قبل عشرين عامًا لم يكن
اختيارًا، القبر الذي حُفر في تلك الليلة لم يكن
لكِ وحدكِ، بل لكلينا... للشيء الذي حرق هذه
الأرض وأخذ أمك منّا!
صرخ أنمار فجأة، ورفع سيفه ليقف حائلًا
بينهما:

_ لا تصدّقيه!

ثم أكمل بغضب:

_ إنه يقطع الجزء الذي يبرّئه ويقول لك! سليه
عن الجثة التي تركها خلفه عندما انطفأت
الشعلة! سليه من كان يمسك بالخنجر في تلك



تراجعت ميار خطوةً إلى الخلف، التفتت نحو الجدار الذي كانت
تفصله البوابة، فلم تجد سوى حجارة صماء ممتلئة بالشقوق،
أغمضت عينيها لثانية، ولا مست النقش الغائر في القلادة
بظفرها.

وفي تلك اللحظة بالذات، اندفعت رؤية سريعة كالصاعقة في
رأسها: غرفة بيضاء، طفلة تبكي وهي ممسكة بقلادة وردية، رجل
يرتدي ثياباً سوداء يرمي بالقلادة في بئر عميقة، ووجه يمرّ سريعاً
في العتمة... وجه إلياس، لكنّه كان أصغر سنّاً، وعيناه تنزفان سواداً
يقطر على أوراق المذكرات.

فتحت عينيها بسرعة، ورأت أنّ الخيوط الزرقاء تحت جلدها لم
تنطفئ كما ظنّت، بل تبدّلت... صارت خطوطاً حمراء داكنةً
تتسلّق ذراعيها باتجاه القلادة، كأنّ الدماء عادت تجري في عروق
كانت ميّنة.

رفعت رأسها ونظرت إلى إلياس، وابتسامتها الخافتة تلك لم تعد
مجرد قناع لامتناص الصدمة، بل تحوّلت إلى نظرة تنبض بقوة
مظلمة لم تكن تعرف أنّها تملكها.
_ القلادة لم تُدفن معي يا إلياس.

قالت وهي تضغط عليها بقوة حتّى كادت حوافّها تجرح كفها، ثمّ
أكملت:

_ لأنّك لم تستطع قتلي أصلاً... أنت فقط سرقت ذاكرتي،
وأوهمتني أنّي النواة المكسورة بينما كنت أنت العاصفة!



ساد صمْتُ أثقل من حجارة القلعة، صمْتُ لم يقطعه سوى أنينُ الرِّيح التي عبرت
شقوق الجدران الصَّماء، تراجع إلياس خطوةً إلى الوراء، وكأنَّ كلماتٍ مَيَّار كانت نِصَالاً
حقيقيَّة اخترقت درعه، انطفأ الغضب في عينيه، ليحلَّ محله رعبٌ وجوديٌّ خالص؛
رعبٌ حاريس أدرك أنَّ السَّجين لم يعد داخل الزَّنزانة، بل أصبح يملك مفاتيحها.
- ميار، أنتِ لا تفهمين...

تمتم إلياس، وتراجعت يده المسكة بالسَّيف حتَّى لامست ذؤابته الأرض ثمَّ قال:
- النسيان كان دواءك الوحيد، الدَّماء التي جرت في تلك الغرفة البيضاء كانت ستلتهم
روحك لو تركتكِ تذكركين!
- بل التهمت روحك أنتِ أولاً!

قاطعته مَيَّار، وصوتها يخرج بطبقة عميقة غريبة، تداخلت فيها نبرتها الحالية مع
صدى ضعيفٍ لصوتِ الطفلة الباكية في رؤياها، لم تعد تشعر باهتزاز الهاتف في
جيبها، بل بدا وكأنَّ كلَّ الأجهزة والروابط بالعالم الخارجي قد ذابت، ولم يتبقَّ سوى هذا
الفراغ المحموم.

تحركت الخطوط الحمراء الداكنة على ذراعيها بسرعة أكبر، وأخذ الضَّوء الخافت
المنبعث من القلادة يتسع، راسماً ظلالاً مشوهةً لأفعى بلا عيينين على جدران الغرفة،
وفي تلك اللَّحظة التفت أنمار نحوها، ملامح وجهه التي خلت من السَّخرية تحوَّلت
الآن إلى ترقبٍ مُشوَّبٍ بالحذر.

خطى خطوةً جانبيةً، مُبقياً سيفه موجَّهاً نحو إلياس، لكنَّ عينيه كانتا تقرأن التَّحوُّل
المُخيف في جسد مَيَّار، قال بنبرة حادة كالسَّفرة:
- لقد تأخَّرت كثيراً في شرحك يا إلياس...

ثمَّ أكمل:

- العاصفة التي حبستها في جسدها طوال عشرين عاماً كبرت الآن، والأسوار التي
بنيتهَا من الأكاذيب تداعَت اللَّيلة، انظر إليها... إنها لم تعد تلك الطفلة التي خبأتها
في مذكراتك!



فجأة، انبعثت لافحة هواءٍ باردة من النّقش الخماسيّ للقلادة، وتصاعدت منها رائحةٌ تشبه الطّين المُبلّل بالدم والمطر القديم، شعرت ميّار بوعيتها ينقسم؛ جزءٌ منها يقف في هذه القلعة المظلمة، وجزءٌ آخر يرى الغرفة البيضاء بوضوح تامّ الآن.

لم يكن إلياس يلقي بالقلادة في البئر ليتخلّص منها، بل كان يحاول ختمَ شيءٍ ما بداخلها، والرّجل ذو الثّياب السوداء... لم يكن غريبًا! اتّسعت عينا ميّار وهي تحدّق في إلياس الأصغر سنًّا في ذاكرتها، ثمّ في إلياس الواقف أمامها بوعيدٍ منكسر.

- الخنجر...

همست ميّار، وهي ترفع كفّها الحارّة لتمسح جبينها الذي تصبّب عرقًا باردًا

- الخنجر لم يكن بيد شخصٍ آخر يا أنمار، إلياس لم يكن القاتل... بل كان..

تجمّد أنمار في مكانه، وعادت عيناه لتتّسعا برعبٍ مفاجئ، بينما رفع إلياس رأسه ببطء، وعيناه اللّتان كانتا تنزفان سوادًا في الرّؤية، بدا وكأنّ عتمتهما بدأت تظهر الآن في عينيه الحقيقيّتين.

قال إلياس بصوتٍ أشبه بفحيح الأفعى المنقوشة:

- أخبرتك يا ميّار...

ثمّ تابع وهو يرفع سيفه مجدّدًا، لكن هذه المرّة لم يكن يوجّهه لحمايتها، بل نحو صدرها مباشرة:

- الثّيء الذي حرق هذه الأرض وأخذ أمّك منّا... لم يغادر هذه الغرفة قطّ، لقد كان يعيش في دمك، والآن... قد استيقظ.



تصلب جسدها في مكانه، وشعرت ببرودة مفاجئة تسري في
أطرافها كأنّ الدماء تجمّدت في عروقها.
تلاحقت أنفاسها وضاق صدرها، بينما أخذت ضربات قلبها
تقرع بعنفٍ كطبل حربٍ لا يهدأ، حاولت أن تزردَ لعابها،
لكنّ حلقة كان جافاً كصحراء قاحلة، وتسمرت عيناها
بشخص، وهي مدركة أنّ ما خشيت حدوثه يكمن في
جسدها.

نظرَ إليها إلياس وقال بصوتٍ يملؤه الأسى:
- لم يكن لي الخيار، وكُنْتُ مُجبراً على ذلك.
رفع أنمار سيفه بوجه إلياس وقال:
- إِيَّاكَ أَنْ تَكْذِبَ! لَا تُصَدِّقْهُ.. لقد استخدم جسدي لِنَقْذِ
نفسه، لم يكن يُدرك أنّ العاقبة وخيمةٌ وظلّ يُقنعك بأنّ ما
بداخلك هو ما يُبقيك على قيد الحياة، بلا عناءٍ أو تعب..
وأنتِ - ولأنّكِ لم تكوني تعرفين غيره رفيق طفولتك - وثقتِ
به وأعطيتَه ما لا يستحقّه، لم تكوني له غير وسيلةٍ سهلةٍ
للتخلّص من المُعاناة.



ـ صدّقيني ليس صحيحًا!

قالها إلياس بصوتٍ متحشرج، ثمّ تابع:

ـ لم أستغلّك يومًا لأجل مصلحةٍ الخاصّة، كنتُ دائمًا أحميك ممّا هو

أشدُّ ألمًا عليك! نعم، كلامه صحيح ثقتك بي جعلتني أستحوذُ على

جسدك لأستردّ الحقوق التي سُلبت منك، وأجعل كلّ من خذلك يندمُ

على اليوم الذي تجرّأ فيه على إيذائك!

نظر إليها وقال بنبرة صارمة:

ـ لا يُهمّني الآن... إن كنت لا تصدّقين ما أقوله...

ثمّ اقترب منها خطوةً وهمس بصوتٍ لا يكاد يُسمع:

ـ لكنّي أعلمُ جيّدًا أنّ طفلي الصّغيرة ستعودُ كما أحببتها في صغري،

وإن طال الوقت... ستعودين إليّ.

حينها لمعت تلك الخطوط الزّرقاء على ذراعيها وبدأت تتوهّجُ بشكلٍ

أعمق، تحرّكت الرّياحُ بقوةٍ لتنسج من خيوط الغبارِ حكايةً قديمة،

تذكّرُ الرّاحلين بأنّ الرّحيل ليس إلّا بدايةً لعودةٍ أعمق في ذاكرة المكان،

وراحت السّماءُ تُمطرُ بغزارةٍ، وكأنّ الكون يُعيدُ ترتيبَ فوضاه بصوتٍ

مرتفع.



وقفت ميار في مكانها وأحسّت أنها مُحاطة بفرقةٍ من المُخادعين، لكنّها كانت مُجبرةً على الاستمرار لتفهم ما الذي حدث تلك الليلة.
ثمّ مرّت الأحداثُ في رأسها مُتتابة..

وجود إلياس، ثمّ المملكة السوداء، أمّها التي لم ترها منذ زمن، أمّا عن طيف تلك الطفلة التي بدت أنها هي الآن، وتبحثُ عن الأمان الذي افتقدته طوال عمرها، ثمّ القلادة، والخنجر... مرّت كلّها كالبرق في سماءٍ مظلمة.

وضعتُ كفيها على رأسها لتسرق مشهداً من طفولتها، حيث كانت أمّها تحضنها بينما كان ذاك يرمي بالقلادة في البئر، لكنّها رأت شيئاً غريباً بالكاد تتذكره.. رجلٌ كبيرٌ بالسنّ كان يقف بعيداً يمسك بيده خنجراً تعرفه هي جيّداً! نعم هو الخنجر ذاته، لكن ما الذي كان يفعله ذلك الرجل الغريب بالخنجر؟

تساءلت ميار، ثمّ نظرت إلى أنمار وواجهته ثانيةً، ثمّ إلى ذاك الواقف أمامها رافعاً سيفه نحو صدرها ونظراته مهتزةٌ بقلق، رمقتهُ بخيبةٍ بعد كلّ ما عرفته.
وفجأةً توهجت عروقها الزرقاء لتُضيء المكان ببريقها، ونظرت بحدة قبل أن تسأل بحزم:

– من الشّخص الرّابع في تلك الغرفة البيضاء؟

نظر كلّ من أنمار وإلياس إلى الآخر، ولاحظت أنّ ملامح التّصر والقوّة المرتسمة على وجه إلياس كادت تختفي لتترك مكانها علامات الخوف التي سرت في كيانه مسبّبةً له رعشةً خفيفةً دالّةً على رائحة الهزيمة.

عادت بنظرها نحو أنمار لترى أنّه الآخر قد كست وجهه ملامحٌ مُناقضةٌ تماماً عمّا كانت قبل هذا، لتفهم من ذلك شيئاً...

بدا لها وكأنّهُ خطوةٌ نحو ماضيها الذي أصبح بالنّسبة لها لغزاً مُبهم الملامح.



لم يكن الصمت الذي أعقب سؤال ميار صمت العاجزين عن الإجابة، بل صمت الذين أدركوا أنَّ الماضي قد وجد أخيراً مَنْ يقتصُّ له.

تراجعت ميار خطوةً، تتأمل الوجوه التي طالما ظنَّت أنَّها تعرفها، فإذا خلف كلِّ وجهٍ قبر، وخلف كلِّ كلمةٍ خيانةٌ لم تُدفن كما ينبغي.

كان إلياس يحدِّق في الفراغ برعبٍ مكتوم، أمَّا أنمار، فقد ارتجفت يده على مقبض سيفه للمرة الأولى. قالت ميار، وقد أخذ الضوء الأزرق ينساب من عينيها:

— مَنْ كان؟ أكان أبي؟ أم قاتل أمِّي؟ أم ذاك الذي صنع من طفولتي قبراً، ثم أقنعني بأنِّي ما زلت حيَّة؟ ارتجَّت الجدران، وانبعث من أعماق القلعة أنينٌ كأنَّ أبواباً أغلقت منذ عشرين عاماً بدأت تُفتح. صاح إلياس فجأةً:

— ميار، مهما سمعت، لا تُجيبني إن ناداك باسمكِ!

استدارت إليه، وقد استحال الخوف في عينيها إلى ربيبةٍ جارحة.

— أكنت تحميني منه، أم كنت تحميه مِنِّي؟

وقبل أن يجيب، انشقت الأرض عن شقٍّ أسود، واندفعت منه ريحٌ تحمل رائحة المطر القديم، المطر الذي شهد احتراق القصر ليلة سُرقت طفولتها.

عندئذٍ، انحنى أنمار أمام الفراغ.

لم يكن انحناءً خضوع، بل تحيةً مَنْ أبصر ملكاً عاد من قبره.

— أنمار، ماذا تفعل؟!

لم يرفع رأسه، وإنَّما همس:

— أعتذر.

ولم تكن الكلمة موجَّهةً إليها.

انفلقت الفلادة بين أصابع ميار، وسقط منها مفتاحٌ أسود نُقشت على رأسه زهرةٌ خماسيةٌ تحيط بها أفعى بلا عيين.

شهق إلياس وتراجع حتَّى اصطدم بالجدار.

— مستحيل!

رفعت ميار المفتاح وسألته:

— ماذا يفتح؟

أجاب أنمار بصوتٍ خافت:

— الباب الذي لم يكن ينبغي أن يُفتح أبداً.

— وأين هو؟

أغمض عينيهِ، ثم قال:

— فيكِ.



انطفأت الخطوط الزرقاء تحت جلدها، وسكن جسدها حتى خُيِّلَ إليهما أنَّ الأثير قد فارقتها إلى الأبد، ثمَّ رفعت رأسها وابتسمت ابتسامةً هادئةً، بريئةً كابتسامة طفلةٍ عثرت أخيراً على ما فقدته.

وقالت بصوتٍ لم يكن صوتها:

— لقد تأخَّرتُم كثيراً.

هوى أنمار على ركبتيه، أمّا إلياس فقد شحب وجهه كأنَّه أبصر نهايته.

وفي أعماق القلعة، انفتح بابٌ لم تره عينٌ من قبل، جاء من ورائه صوت امرأةٍ تبكي، ثمَّ

ضحكة طفلة، ثمَّ صوت رجلٍ يتلو أسماء الموتى واحداً تلو الآخر.

وكان الاسم الأخير... إلياس.

التفتت ميار إليه، وسألته:

— لماذا يناديك الموتى؟

لم يُجب، كان يحدِّق في المفتاح، حيث بدأت الأفعى تكتسب عينين زرقاوين، كلون الأثير

الذي سكن جسد ميار عشرين عاماً.

مدَّ يده إليها وهمس:

— أرجوك... أعيديه إليّ.

تراجعت عنه، ثمَّ قالت:

— أخبرني أنَّك أنقذتني من الموت، يا إلياس... فمن الذي أنقذ الموت مِنِّي؟

وقبل أن يجيب، انطفأت الأنوار، ولم يبق سوى ضوء أزرق يتسرَّب من تحت بابٍ موصد.

ثلاث طرقاتٍ خفيفة هزّت السكون.

ثمَّ جاءها صوتٌ دافئ، تعرفه روحها وإن عجزت ذاكرتها عن استحضاره:

— ميار... افتحي لأُمِّكِ.

تجمَّد إلياس، ورفع أنمار سيفه.

اقتربت ميار من الباب، لكنَّ صوتاً آخر انبعث من خلفها، يشبه صوتها تماماً، وإن حمل من

القدَم ما لا تحتمله ذاكرة بشر:

— إن فتحتِ، فلن تعودِي أنتِ.

توقَّفت يدها لحظةً، ثمَّ أدارت المقبض.

وفي اللحظة التي انفتح فيها الباب بمقدار شعرة، انطفأ الأثير من العالم كُلِّه.

لم يُسمع صراخ، ولم تُر دماء، ولم يبق من القلعة السوداء أثر.



في صباح اليوم التالي، عادت المدينة إلى هدوئها المعتاد، وهطلت
أمطارٌ خفيفة على الأرصفة التي شهدت انشقاق السماء.
لم يتذكر أحدٌ شيئاً؛ لا القلعة، ولا البوابة، ولا الرجلين اللذين
عبرا من عالمٍ آخر.

أمّا ميار، فلم يجد أحدٌ لها أثراً.
غير أنّ امرأةً مسنّةً توقفت قرب محطة القطار، وحدقت في زجاج
عاكس.

لم يكن الوجه الذي يحدّق بها وجهها، بل وجه فتاةٍ في العشرين،
تتدلّى من عنقها قلادةٌ سوداء، وعلى معصمها خطوطٌ زرقاء
خافتة.

رفعت المرأة يدها، ورفع الانعكاس يده، ثمّ ابتسم.
وتحرّكت شفتا الفتاة بكلمةٍ واحدة:
«أخيراً.»

وفي مكانٍ ما، وراء عالمٍ لم يعد أحدٌ يؤمن بوجوده، فُتح سجلُّ
الموتى على صفحةٍ بيضاء، وكتب فيها اسمٌ لم يكتب منذ ألف
عام.

لم يكن اسم ميار، ولا اسم إلياس.
بل اسم الشخص الرابع.
وتحتّه، كتبت عبارةٌ بحبرٍ أزرق:

«لم تكن الحكاية عمّن نجا من الموت، بل عمّن علّم الموت كيف
يخاف.»

نبذة الرواية

لم تكن قِيَّار تخشى العالم... بل كانت تخشى أن تلمسه.

منذ اكتشفت لعنتها، أصبحت اللمسة أبسط الأشياء التي حُرمت منها؛ فكل من تلامسه بشرتها مباشرةً يصيبه الأذى، حتى غدت العزلة عالمها الوحيد.

لكن ظهور إلياس قلب حياتها رأسًا على عقب؛ فهو الوحيد الذي لا تؤذيه لعنتها، بل تمنحه طاقة غامضة لم يفهم سرّها بعد. غير أن إلياس ليس شابًا عاديًا، بل محارب من عالم مواز نُفي إلى الأرض، ينتظره هناك مصير مملكة بأكملها وحرب قد تغيّر كل شيء.

وحين يصبح رجليه خلاصًا لعالمه، وبقاءه قربها طوق نجاتها الوحيد، تجد قِيَّار نفسها أمام اختيار لا يتأشبّه أيّ اختيار عرفته من قبل...

هل تتبع الرجل الذي كسر عزلتها إلى عالم لا ينتمي إليها، أم تترك اللعنة تستعيد قوتها وتواجه مصيرها وحدها؟

لعنة الأثير

حين تصبح اللمسة قدرًا، ويصبح الحسنيّ الحب مخاطرة بين عالمين.